علم الآثار والجهود الآثارية في المملكة العربية السعودية

نهضت الدراسات الآثارية في المملكة العربية السعودية نهضة كبيرة فكانت أعمال المسح الأثري وإجراء الحفائر في مناطق عديدة من المملكة، شملت الفترة الممتدة من عصور ما قبل التاريخ وخلال العصر الإسلامي. وقد تناولنا في هذا الفصل موضوعات عدة شملت التعريف بعلم الآثار، ومدخلاً للدراسات الآثارية بالمملكة، ثم عرضنا للجهود الأثرية في المملكة ومنها الدراسات في عصور ما قبل التاريخ، وما قبل العصر الإسلامي ثم تناولنا الدراسات الأثرية في العصور الإسلامية.

ولما كانت جغرافية المملكة بأقاليمها وتضاريسها ومناخها وموارد مياهها وسكانها ونشاطها الاقتصادي ذات أهمية كبيرة تساعد في توضيح المعرفة الآثارية؛ فقد عرضنا بإيجاز لمثل هذه الموضوعات.

علم الآثار

ليس من السهل تعريف علم الآثار لا سيما أن كلمة archaeology، التي يشار بها لدراسة هذا العلم، غير واضحة. فهي كلمة يونانية الأصل تتألف من كلمتين arche، ومعناها البداية، وlogie ومن معانيها علم؛ مما حدا ببعض الباحثين إلى القول بأنها تعني: علم القديم أو علم الآثار. ويشير بعض الدارسين إلى أن أول استخدام لهذه الكلمة arche كان في عهد الإمبراطور الروماني أغسطس قيصر، حيث أطلق المؤرخ دنيس داليكارنس على كتاب يتضمن معلومات عن الحروب التي دارت بين روما وقرطاجنة اسم الآركيولوجيا الرومانية. وتجدر الإشارة إلى أن اللغة اللاتينية لم تذكر كلمة آركيولوجيا بمعنى علم الآثار، أو آركيولوج بمعنى عالم آثار. وبعث هذه الكلمة في القرن السابع

عشر الفرنسي جان سبون الذي كان يتردد بين شكلين: آركيولوجيا وآركيوجرافيا. ولكن المصطلح الذي استمر هو كلمة آركيولوجيا؛ إذ كان له حظ في معظم اللغات الحديثة.

وعلم الآثار كان في البدء وصفاً للعادات القديمة قبل أن يصبح علماً، أي قبل أن يخضع لقواعد منهجية معينة تعيننا على سبر أغوار الماضي بصورة دقيقة ومنظمة. وهو أحد الوسائل المهمة لدراسة الماضي، لأنه علم يهتم بالأشياء والأشكال المادية.

ويعرّف علم الآثار بأنّه العلم الذي يعنى بالحضارة الإنسانية في مختلف عصورها، وبدراسة مخلفاتها المادية والثقافية، وتتبع مراحل تطورها وازدهارها. لذا فإن علم الآثار يُعنى بدراسة كل ما خلفه الإنسان من مواد ثابتة؛ مثل العمارة والمدن القديمة والمنشآت المائية، والمواد المنقولة مثل الفخار والخزف والمسكوكات والتماثيل والأدوات الحجرية والمعدنية والحلي والأسلحة وأدوات الصيد ومواد النسيج والأخشاب والعاج، وكذلك النشاط الزراعي والصناعي، بالإضافة إلى المخلفات المادية الثقافية، مثل الكتابات والرسوم والمخطوطات القديمة.

ودراسة هذه المواد لا تهدف إلى تهيئة مادة علمية لدارسي التاريخ فقط بل الوصول إلى فهم حقيقي لواقع الحضارات القديمة، وإلى بناء صورة أقرب إلى حقيقة واقع الحياة اليومية التي كانت تعيشها المجتمعات الإنسانية القديمة، بعلم منظم له نظرياته وطرقه وأساليبه العلمية.

وهناك عدة موضوعات تمثل البحث الآثاري، مثل أسماء السكان ودراسة هذه الأسماء من الناحية اللغوية والتاريخية، ودراسة العمارة الدينية والمدنية والحربية وهندسة المدن. إلى جانب الموضوعات المتعلقة بالمعثورات (وهي المواد الأثرية التي عُثر عليها خلال الحفريات والاكتشافات) مثل الفخار، والمسكوكات والمخطوطات القديمة والبرديات والأدوات الحجرية والمعادن والحلي وأدوات الزينة وغيرها. ومع أن علم الآثار وسيلة من وسائل دراسة التاريخ إلا أن الاتجاه الحديث في هذا العلم لا يكتفي بتهيئة المادة الأثرية للمؤرخين ودارسي التراث بل يعمد علماء الآثار أنفسهم إلى دراسة المادة الأثرية أيضاً.

وهناك فروع عديدة لعلم الآثار: فعلم آثار ما قبل التاريخ يمتاز عن فروع دراسات الآثار الأخرى بامتداد مجال درسه إذ يتناول آلاف السنين، وشموليته

التي تغطي الكرة الأرضية كلها. ويدخل في دائرة هذا الاهتمام دراسة آثار الإمبراطوريات والممالك التي ظهرت بعد معرفة الكتابة في نهاية الألف الرابع ق.م أي سنة ٣٢٠٠ ق.م. تقريباً. ويهتم علم الآثار الكلاسيكي بفترات الحضارة الإغريقية والرومانية. ويهتم علم الآثار الإسلامي بالتراث الإسلامي في الفترات الإسلامية المختلفة منذ بزوغ فجر الإسلام في القرن السابع الميلادي. وهناك أيضاً علم آثار الشرق الأدنى وعلم الآثار الحديث في الأمريكتين وأستراليا.

وثمة إشارة هنا، وهي أن تفسير أي أثر يدفعنا لمعرفة الحضارة التي ينتمي إليها. ولابد أن يبني عالم الآثار تفسيراته وأحكامه للظواهر والمعثورات الأثرية على معطيات، فلا يسير في بحثه إلا من المعلوم إلى المجهول. فمن واجبه ألاّ يدرس الآثار بصورة منعزلة وإنما على شكل مجموعات وظواهر، فيجمع الأدلة والظواهر، يصنفها ويفحصها بعقلية نقدية. وعند تقويم المعطيات عليه أن لا يقبل سوى الحقائق، أو على الأقل أقرب الأدلة إلى اليقين الممكن في العلوم الإنسانية.

ولعلم الآثار أهداف عدة، يكاد يتفق عليها دارسو هذا العلم، منها أن علماء الآثار لا يتعاملون في أبحاثهم

نشاط ميداني

مع حقائق اجتماعية بقدر ما يدرسون حقائق مادية ملموسة. وهناك ثلاث غايات لعلم الآثار؛ أولها: أنه يعيننا على تفسير مظاهر السلوك البشري الحالي، كيف ومتى تشكل هذا السلوك؟ وذلك استناداً إلى المعثورات المادية، ثانيها: أنه يدلنا على ماهية التطورات الكبيرة في التاريخ الإنساني، مثل اكتساب اللغة ومعرفة الزراعة والتعدين والاستقرار في القرى والمدن، وثالثها: أنه وسيلة لا غنى عنها لمعرفة أطوار الحضارة الإنسانية.

ويسعى علماء الآثار إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

أولها: أنه يسهم بقدر وافر في إثراء معرفتنا بالتراث الحضاري الإنساني.

ثانيها: أن له استخدامات معنوية، إذ يعمل على تنمية الحس الوطني وإذكائه.

ثالثها: أنه علم اجتماعي يساعدنا على فهم البيئات سواء كانت طبيعية أم ثقافية.

ففي مجال البيئة الطبيعية يمدنا بمعلومات عن تشكيل الأراضي والمستوطنات والعلاقة بينهما. كما يمدنا بمعلومات جيولوجية وبيولوجية (حيوية) ومناخية تضيف كثيراً لمعرفتنا بالعالم الذي نعيش فيه. فضلاً عن إمدادنا بمعلومات عن الحياة الثقافية بجوانبها المتعددة.

وجدير بالذكر أن كثيراً من المجتمعات في دول العالم الثالث قد هجرت أساليب حياتها التقليدية في مواجهة التقدم العلمي والتقني المتسارع، لذا فإن علماء الآثار باتوا حراس التراث حتى لا ينسى، وذلك بعملهم في توثيق التراث المندرس (الآثار) والحي (الفولكلور) وإذكاء روح العمل الجماعي لحفظه والاهتمام به. ليس لأنه يمثل جانباً من واقع المجتمع الثقافي والحضاري فحسب، بل لما يتضمنه من قيم اجتماعية ومفاهيم جمالية جديرة بالعناية والرعاية وأن نقتبس في أعمالنا ورؤانا الإبداعية. وفوق ذلك كله لا تغيب عن البال الفوائد النفسية في استخدام هذا الإرث سنداً معنوياً لمجابهة التحدي الحضاري والثقافي المعاصر منه والدخيل على تراثنا العربي-الإسلامي.

ويعنى علم الآثار بدراسة التراث المادي لماضي البشرية، ومهمة الباحث هي دراسة الأدوات والمخلفات الحضارية التي صنعها أو عدلها الإنسان، وهي تتراوح بين أدوات بسيطة، مثل الأدوات الحصوية والألدوانية والشيلية، إلى الموجودات الحضارية الكبيرة والفخمة

نشاط ميداني

كالمقابر والمعابد والقلاع والحصون والأهرامات... إلخ. ومهمة عالم الآثار، كما يرى براون، معرفة أوجه العلاقات القائمة بين الأدوات والمعتقدات الحضارية بصورة منتظمة وتفسيرها.

وقد تطور علم الآثار، كمجال للبحث، بصورة كبيرة خلال المائة عام الماضية على يد هواة الآثار من جامعي العاديات والتحف والمقتنيات الفولكلورية إلى علم له أصوله وقواعده العلمية. ومن أجل دراسة الماضي طور علماء الآثار أساليب وأنظمة عديدة بغية اكتشاف الآثار والمحافظة عليها وتفسيرها. ويضع علماء الآثار نصب أعينهم عدة أهداف من أهمها:

أولاً: معرفة أشكال الحياة في غابر الأزمنة، وذلك بوصف الأدلة المادية وتصنيفها وتحليلها لإعطاء صورة جلية عن توزيع الموجودات الحضارية للمجتمعات القديمة في بعديها الزماني والمكاني.

ثانياً: التعرف على أغراض المعثورات الأثرية من أدوات أو أوانٍ أو مبانٍ أو حليّ وغير ذلك، باكتشاف العلاقات المبثوثة في هذه الأدلة الأثرية.

ثالثاً: تفسير مظاهر السلوك الإنساني وآليات التغيير الثقافي والحضاري مما يمكن العلماء من الإجابة عن التساؤل: كيف ولماذا حدث هذا التغيير عبر الأزمنة؟

ويمكن أن نضيف لذلك ثلاثة أهداف أخرى، هي:

أولاً: اكتشاف العلاقة بين الثقافة المادية والسلوك.

ثانياً: رصد التغييرات الاجتماعية للمجتمعات.

ثالثاً: اختبار بعض الفرضيات والنظريات استناداً إلى الموجودات الأثرية.

ويهتم علم الآثار بدراسة تاريخ أفكار الإنسان وكيفية تنظيمه لحياته واستغلاله لبيئته. كما يتقصى إنجازاته، ويتعرف على معتقداته وأساليب تواصله مع الآخرين.

وقد أماطت المسوحات والحفريات الأثرية اللثام عن العديد من الاكتشافات والتطورات الحضارية البالغة الأهمية التي تمثل منعطفاً مهماً في التاريخ الإنساني، مثل معرفة الزراعة والتعدين. ولعل من أبرز النظريات عن أصل الزراعة نظرية الواحات Oasis Theory لغوردون شايلد، وفحوى هذه النظرية أنه بنهاية العصر الجليدي الأخير (١٠٠٠٠-٩٠٠٠ ق.م) فإن معظم الكائنات الحية، بما في ذلك الإنسان، بدأت تتجمع حول أودية الأنهار. فأدى الاستغلال الجائر للبيئة الطبيعية إلى نقص حاد في المواد الغذائية مما دفع الإنسان إلى تدجين كل من النبات والحيوان (Childe 1951: 35-36).

وهناك فرضية النواة Nucleus Theory القائلة بأن ظهور الزراعة مرده إلى توافر بعض المحاصيل البرية، مثل الشعير والقمح، في منطقة الشرق الأدنى وعندما بلغ الإنسان درجة من التقدم التقني أدى به تفكيره إلى تدجين هذه المحاصيل. وبالرغم من أن هذه الفرضية هي أكثر الفرضيات رواجاً عند كثير من الدارسين، إلا أنها لا تجد سنداً مادياً يعضدها.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى فرضية التوازن والضغط السكاني التي تزعم أن هناك توازناً بيئياً طبيعياً بين الإنسان من جهة والحيوان والنبات من جهة أخرى، فلما زاد عدد البشر اختل هذا التوازن، لذا اضطر الإنسان إلى إنتاج الغذاء بالاستفادة المتوازنة من المصادر الحيوانية والنباتية مما مكنه من إعادة التوازن الطبيعي لمكانه.

وفي مجال التعدين أدت معرفة الإنسان بصناعة الفخار (١٠٠٠٠-٨٠٠٠ ق.م) إلى إحداث تغييرات جوهرية في حياته، لأنها مهدت للكثير من الصناعات الأخرى. فعملية حرق الأواني الفخارية جعلت الإنسان قادراً على أن يتحكم ليس فقط في كمية الحرارة واستخدامها الأمثل في الحرق، بل أدرك دورها في تغيير خواص المواد فسخرها لصهر كثير من المعادن كالنحاس والحديد.

وربما كان ذلك -في البداية- مصادفة. ولكن هذه المعرفة فتحت آفاقاً أرحب لتقنية المعادن، بل مهدت لكثير من التطورات التقنية اللاحقة.

وعلى الصعيد المنهجي شهد علم الآثار تطورات وقفزات نوعية كبيرة على مر السنين. وكانت أولى المحاولات لإيجاد منهج علمي لدراسة الآثار، أو بالأحرى دراسة المعثورات، ما قام به تومسون في متحف كوبنهاجن (الدانمارك) في القرن الماضي عندما صنف المعثورات الحضارية القديمة الموجودة فيه إلى ثلاثة أقسام، هي: الأدوات الحجرية، والبرونزية، والحديدية؛ اعتماداً على نوع المادة. واعتمد هذا التصنيف التقني في دراسات عصور ما قبل التاريخ على نطاق العالم باعتبار أنه يمثل فترات تاريخية متتالية (Childe 1951:35, 41-42).

ومع أن هذا التقسيم خاص بالمواد الحضارية الأوروبية إلا أنه بات يطبق في دراسات حضارات عصور ما قبل التاريخ في كل أنحاء العالم، مع التنبيه إلى أن هذه التراتبية التقنية التاريخية التي ينطوي عليها هذا التصنيف لا تنطبق على بعض حضارات ما قبل التاريخ في العالم. وعلى سبيل المثال فإن منطقة شمال أفريقيا لم تمر بفترة العصر البرونزي، إنما شهدت نقلة حضارية-تقنية من العصر الحجري إلى الحديدي مباشرةً.

أما المنهجية الخاصة بالمواقع والفترات الحضارية استناداً إلى التسلسل الزمني فإن العمل الرائد لفلندرس بتري وهو مثال معروف لدارسي آثار الشرق الأدنى القديم، قَسَّم حقبة ما قبل الأسر في مصر -اعتماداً على التاريخ النسبي لفخارياتها- إلى ثلاث حضارات، هي:

١) البداري Badarian.

٢) نقادة الأولى Nagada 1.

٣) نقادة الثانية Nagada II.

وثمة تنويه هنا وهو أن التوصيفات المختلفة لأساليب صناعة الموجودات الحضارية والدراسات المقارنة لها، كانت ذات أهمية قصوى في الدراسات الآثارية خلال القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين. وأعقب ذلك مباشرة ابتكار أساليب لدراسة المعثورات الأثرية أكثر تقدماً وإيجابية طبقت في عدة أماكن في العالم، لا سيما أوروبا والأمريكتين. وتعتمد هذه الطرق الجديدة في مجال التصنيف على تصنيف المادة الأثرية في عدة أنماط، وكل نمط تحدده عدة معايير أو متغيرات، مثل: الشكل والبنية والصناعة والزخرفة، والمعالجة السطحية أو واحد من تلك المعايير لتجنب

الازدواجية. ومن ثم تتباين وضعية هذه الأنماط وتوزيعاتها في الموقع الأثري وإيجاد العلاقات المتبادلة (إن وجدت) بينها باستخدام أساليب إحصائية حديثة بالحاسوب، أهمها الحزم الإحصائية المعروفة باسم SPSS و SAS. ويستطيع الباحث استناداً إلى هذه الطرق الإحصائية معرفة أوجه التغييرات النمطية التي طرأت على المعثورات الحضارية التي يصعب معرفتها بشكل دقيق بالأساليب الإحصائية التقليدية.

ولا يختلف علم الآثار عن غيره من العلوم في أن الباحث فيه لا بد أن يضع عدة فرضيات يحاول الإجابة عنها، كما أن تصنيفه للمعثورات الأثرية يرتكز على هذه التساؤلات أيضاً. لهذا فإننا لا نجد في علم الآثار منهجاً تصنيفياً واحداً، بل أنواعاً متباينة من التصنيفات الأثرية تقررها طبيعة البحث، وخلفية الباحث ونوعية الأسئلة التي يحاول الإجابة عنها.

ومما يجدر ذكره أن التيار الجديد في علم الآثار، بشقيه النظري والعملي، نقل منهجية البحث الآثاري من مجالاتها التقليدية المعروفة إلى مضمار العلوم المعاصرة. ففي الجانب النظري أخذ علم الآثار طرفاً من فلسفة العلوم، وبخاصة العلم الذي يعنى بنقد المناهج؛ وذلك من أجل توقير الآثار فلا نفسرها بطريقة آلية حسب القوالب التي نستعيرها، إنما نعمل على استيعاب هذه المناهج داخل تراثنا الأثري، ومن ثم التحدث من داخل إرثنا الحضاري بهذه المناهج والأساليب العلمية.

وبسبب التقدم المذهل والمتسارع في مجال العلوم الطبيعية، فإن نجاح المنهج التجريبي Empirical Approach بات يمثل تحدياً دائماً للعلوم الإنسانية بوجه عام. وأكدت الإنجازات اللافتة في القرن الحالي في مجال العلوم الطبيعية والتطبيقية ضرورة الالتزام بالمنهج العلمي التجريبي في مجال الإنسانيات لا سيما مجال علم الآثار الذي وصل الآن إلى مرحلة النضوج وأصبح مطالباً بالتكيف مع إشكالياته الخاصة. لذا فإن التوجهات الجديدة في دراسة المعثورات الحضارية أصبحت تعتمد إلى حد كبير على التحليلات العلمية التطبيقية، سواء كانت فيزيائية (حرارية وإشعاعية) أم كيميائية.

ويلاحظ أن الكثير من الأبحاث العلمية المبكرة تركزت على التحاليل الكيميائية، كما أنها انحصرت بشكل رئيسي في الموجودات المعدنية ويليها الزجاج فالفخار. ويبدو أن الفخار هو أكثر المعثورات الأثرية التي وجدت فرصة

في التحليل بالطرق الفيزيائية والكيميائية، وذلك منذ نهاية الثلاثينيات لهذا القرن. ويعد العمل الرائد الذي قامت به أنَّا شفرد وفردريك ماتسون في الولايات المتحدة من الأعمال المتميزة في هذا المضمار، إذ استُخدِم المجهر البترولوجي في دراسة مصدر الشوائب المضافة للفخار، فضلاً عن معرفة ظروف حرقه بشكل عام. أما رائدا هذا المنحى العلمي التطبيقي في الدراسات الفخارية في أوروبا فهما ديفيد بيكوك في بريطانيا والإيطالي تيزيانو مانوني.

وأما تاريخ المعثورات الأثرية، فهناك العديد من الأساليب العلمية المستخدمة التي من أبرزها كربون ١٤ المشع الذي يستفاد منه بشكل واسع في تحديد أعمار المعثورات الحضارية، استناداً إلى كمية المادة العضوية (الكربون) المختزنة في اللُّقَى والمواقع الأثرية.

وتطورت أساليب تحديد التاريخ المطلق بكربون ١٤ المشع اعتماداً على مطيافية الكتلة ونظام المسارعات.

والتأريخ بكربون ١٤ المشع هو الطريقة الرئيسية التي يضع بها علماء الآثار والأنثروبولوجيا تقويمهم لحقبة خمسين ألف سنة ماضية. وربما لأكثر من ثمانين ألف سنة حسبما جاءت به الأبحاث الحديثة. وتتطلب هذه الوسيلة استخدام كمية كبيرة نسبياً من العينات من أجل الحصول على نتائج موثوق بها، في حين أن كثيراً من المعثورات الأثرية لا توجد إلا كبقايا صغيرة جداً. والطريقة التقليدية في تحديد الأعمار بكربون ١٤ المشع قاصرة في تطبيقها، فهي تقتصر على تحديد أعمار الأشياء بدرجة موثوق بها إذا كانت تقل عن ٥٠٠٠٠ سنة. وهذه القصور -دون شك- محبط لعلماء الآثار. لذا تم تطوير طريقة جديدة للتأريخ باستخدام طريقة المسارعات ومطيافية الكتلة إذ تمكن من إعطاء تواريخ أكثر دقة من كربون ١٤ المشع.

وثمة طرق أخرى للتأريخ بالإشعاع، مثل طريقة أرجونات - البوتاسيوم التي تستخدم لتأريخ المعثورات الأثرية لأحقاب سحيقة تمتد لملايين السنين. وتوجد طريقة التوهج الحراري الالكتروني Thermoluminscence التي تستخدم في تأريخ الأواني والأدوات الفخارية. أما طرق التأريخ العلمية التطبيقية الأخرى فتشمل التأريخ المغناطيسي، ويستند إلى قياس اتجاه وكمية المجال المغناطيسي للموجودات الأثرية العضوية والمصنوعة من الطين كالأفران ومواقد الطبخ. أما التأريخ بالعظام فهو أسلوب كيميائي

يعتمد على قياس العناصر، لاسيما الفلورين وأيونات اليورانيوم، التي اكتسبها العظم أثناء دفنه في تربة الموقع. وهناك أيضاً أسلوب التأريخ بالسَّبج أي الزجاج البركاني الأسود Obsidian ويعتمد على قياس سمك الطبقة المائية المختزنة في معدن الأوبسيديان أثناء وجوده في طبقات الموقع الأثري.

ويستخدم بعض علماء الآثار طريقة قياس الطبقات الموجودة على سطح قشرة الآنية الزجاجية في التأريخ.

إنّ ما أوردناه آنفاً ما هو إلا غيض من فيض مما تحفل به الأدبيات العلمية والآثارية عن علم الآثار، مع تبيان المناهج والأساليب التي تضيف كل يوم الجديد إلى معارفنا بخطى متسارعة أفضت إلى تطور هذا العلم بصورة جعلته من أكثر فروع المعرفة الإنسانية نضجاً وثراءً في أدواته المعرفية.

الجهود الآثارية في المملكة

بدأ النشاط الآثاري المنظم في الجزيرة العربية بوجه عام والمملكة العربية السعودية بوجه خاص بالمسوحات العلمية الميدانية للعديد من الباحثين، إذ غطت هذه الأعمال في البدء حقل دراسات ما قبل التاريخ قبل أن تنداح اتساعاً في الفترات اللاحقة لتشمل العصور التاريخية التي سبقت الإسلام والفترات الإسلامية. وفيما يلي موجز بأهم معالم هذه المجهودات في مجالي المسح والتنقيب.

دراسات ما قبل التاريخ. بدأت الدراسات الآثارية لهذه الحقبة في المملكة بأعمال المسح الميداني لعدد من الباحثين الأجانب أمثال هنري فيلد Henry Field الذي تتالت رحلاته العلمية خلال الأعوام ١٩٢٧م، ١٩٣٤م، ١٩٦٠م و١٩٦٩م. وكان من نتائج هذه الرحلات عدة مؤلفات لهذا الباحث، من أبرزها كتابه الإنسان قديماً وحديثاً في جنوب غرب آسيا (١٩٥٦م-١٩٦١م)، ومقالاته عن الأدوات الحجرية في منطقة الربع الخالي. وهناك أعمال أخرى لباحثين في هذا المجال منهم، على سبيل المثال، هـ. أ. مكلور H. A. McClur في مؤلفه المعروف شبه الجزيرة العربية وسكان ما قبل التاريخ. وقامت البعثة العلمية لكل من جامعتي تورنتو الكندية وكنتكي الأمريكية برئاسة الفريد وينت A. Winnett ووليم ريد W. Reed بمسوحات علمية في شمال المملكة عام ١٩٦٢م ونشرت نتائج أعمالها في المجلد المعروف باسم وثائق قديمة من شمال

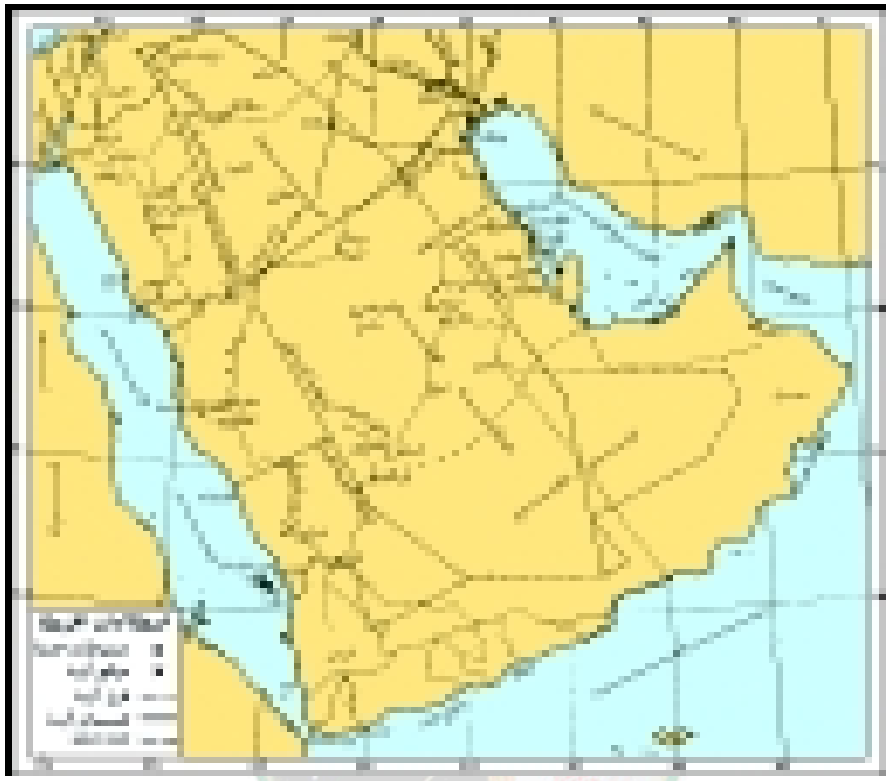

التقسيم الآثاري، وبعض المواقع والطرق الأثرية في المملكة العربية السعودية

الجزيرة العربية عام ١٩٧٠م. وفي فترة لاحقة أنجز كل من بيتر بار P. Parr و ج. ل. هاردنج J. L. Harding وج. أ. دايتون J.E. Dayton من معهد الآثار بجامعة لندن مسحاً أثرياً للجانب الشمالي من ساحل البحر الأحمر بالمملكة العربية السعودية. ونشرت نتائج أبحاثهم بعنوان مسح استطلاعي لشمال غرب الجزيرة العربية ١٩٧٠م.

وكشفت المسوحات في شرق المملكة عن ثلاثة أنواع من المنشآت، هي: مقابر الواحات، والتلال، والمنشآت المعمارية، وهي في آلاف من النُصُب الركامية، فضلاً عن بعض رؤوس الرماح التي يرجع تاريخها إلى فترة ما بين العصر البرونزي الوسيط والمتأخر حول منتصف الألف الثاني قبل الميلاد.

وهناك أبحاث وحفريات عبدالله حسن المصري في مواقع حضارة العُبيد في المنطقة الشرقية التي تكشف عن العلاقات الحضارية بين شرق الجزيرة العربية وبلاد ما بين الرافدين خلال

نشاط ميداني

الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد. وكانت هذه الدراسة في البدء أطروحة للدكتوراه باللغة الإنجليزية نشرت بعنوان عصر ما قبل التاريخ في شمال شرق الجزيرة العربية: إشكالية التداخل الدولي.

وأظهرت الأبحاث التي أجرتها الإدارة العامة للآثار والمتاحف السعودية خلال السنوات الأخيرة مجموعة من المستوطنات يعتقد أنها من بين مستوطنات العصر الحجري القديم (٣٠,٠٠٠-٢٠٠,٠٠٠ ق.م). وهناك مناطق تتركز فيها المواقع المبكرة على الحدود الشمالية الشرقية من الربع الخالي حول واحات يبرين الطبيعية، وفي جنوب نجد، وجنوب عسير، والهضبة الوسطى لشمال نجد، ووادي السرحان، وغيرها.

وقد عثر على عشرات من المستوطنات التي ترجع للألف الرابع والثالث قبل الميلاد في مناطق عديدة من المملكة، خاصة في الهضاب العالية وأسفل التلال. ولعل من أبرز المكتشفات الأثرية لهذه الحقبة المنشآت الحجرية التي تشمل الدوائر، والمسيجات، والنصب الركامية، والأحواض والبنايات على

نشاط ميداني

شكل مصائد ومقابر التلال. وهذه المنشآت كثيرة العدد وثابتة وارتبطت بمجموعات سكانية شبه مستقرة ومتداخلة حضارياً. ولهذه المنشآت ما يناظرها في المناطق المجاورة في بلاد الشام والرافدين وشبه جزيرة سيناء.

عصور ما قبل الإسلام. أبانت المسوحات وأعمال التنقيب الأثرية لحقبة ما قبل الإسلام في المملكة كثيراً من المعالم الحضارية. فظهرت إلى حيز الوجود مواقع العلا (ديدان)، ومدائن صالح (الحجر)، وتيماء في الجزء الشمالي الغربي من البلاد، ودومة الجندل في الشمال (الأنصاري ١٩٧٥) وقرية الفاو في الجنوب (الأنصاري ١٩٨٢). وقد سكنت في كل هذه المناطق مجموعات من القبائل العربية استطاعت أن تنشىء ما يمكن تسميته دول مدن يرجع تاريخها إلى الفترة بين القرن السادس ونهاية القرن الثالث قبل الميلاد.

ومن أهم معالم العلا موقع الخريبة، فضلاً عن عديد من الكتابات والرسومات المنقوشة، دادانية كانت أم لحيانية، تشتمل على أسماء ملوك وأعلام وتمدنا بمعلومات ثرّة عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية.

وهناك مـدائن صالح، وهي تـبعد ١٥كم عن مدينة الـعلا. وقد اشتهرت بمقابـرها المنحوتـة في واجهات الجـبال وتجمعت فيها عناصر فرعونية وإغريقية ونبطيـة وعربية تحمل بـعض التأثيرات الفرعونية والإغريقية.

أما تيماء فقد كان لها شأن مهم في تاريخ شـمال الجزيرة الـعربية سـياسياً واقتصادياً، لوقوعها على الطريق التجاري بين الشمال والجنوب. ووجدت بها مسلة تيماء الشهيرة التي كتب على وجه منها بالخط الآرامي وعلى الآخر نـقش عليه رسمان ربما لملك أو كاهن. ومن معالم تيماء المهمة أيضاً قصر السموءل (القصر الأبلق) غرب تيـماء وهو مربع الشكل وفي وسطه بئر. ويرجع تاريخه إلى الفترة التي حـكم فيها الـغساسنـة وعاصرها السموءل.

وموقـع دومة الجنـدل في مـنطقـة الجوف، مـن أهم المواقـع التي تـقابل المهاجمين من الشمال والشمال الشرقي للجزيرة الـعربية. وكانت مركزاً تجـارياً ودينياً مهماً لـلقبائل العربية، وكان لها علاقات وطيدة مع الآشوريين والبابليين أحياناً وتناصبهم العداء في أحيان أخرى. ومن أشهر معالمها قصر مارد وهو بمثابة حصن وينسب إلى قبيلة السكونية العربية الكندية، ومن أشهر معبوداتها (ود).

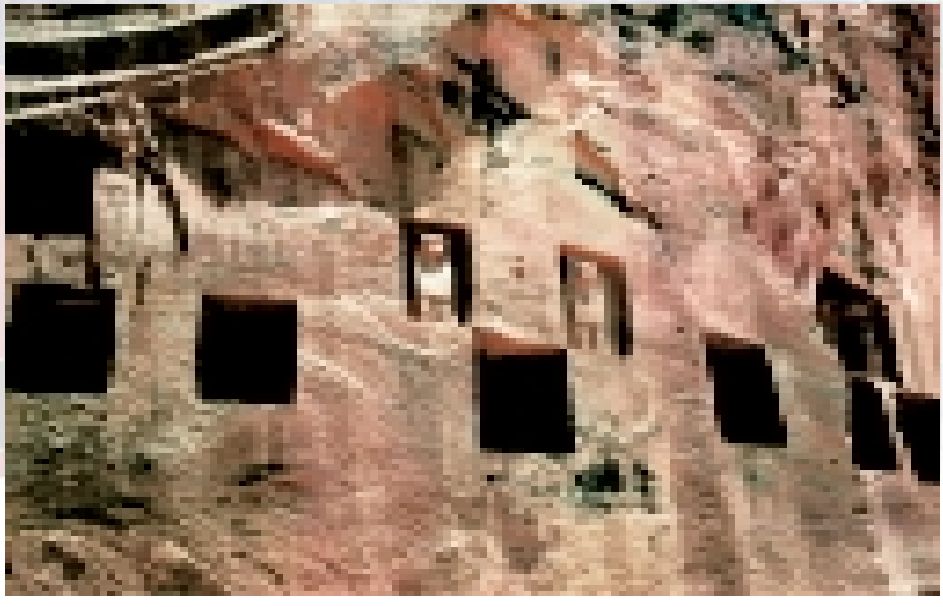

مقابر الأسود بالعلا

واجهة أحد المقابر في مدائن صالح

وموقع قرية الفاو من أهم مواقع الآثار القديمة في البلاد، حيث أبانت الحفريات في هذا الموقع صورة زاهية للحضارة العربية قبل الإسلام. وتبعد قرية الفاو ١٥٠كم إلى الجنوب من مدينة الخماسين عاصمة محافظة وادي الدواسر. وسمي هذا الموقع بالفاو لأن المنطقة التي يتداخل فيها وادي الدواسر ويتقاطع مع جبال طويق عند فوهة مجرى قناة تسمى الفاو. واكتسبت الفاو أهميتها الاستراتيجية لوقوعها على طرق القوافل المتجهة جنوباً إلى اليمن وشمالاً بشرق إلى الخليج العربي، وشمالاً عبر الصحراء.

وأثبتت الأدلة الأثرية أن هذه المدينة من أكبر مدن القوافل، لاسيما المعاصرة لها سواء في داخل الجزيرة العربية أو ما جاورها. فطولها من الشمال إلى الجنوب ٥كم، وعرضها من الشرق إلى الغرب نحو ٢كم بما في ذلك الأراضي الزراعية.

ويمثل العمل في قرية الفاو بداية الحفريات المنظمة والرائدة في المملكة العربية السعودية. ويضم هذا الموقع قطاعات عدة: السكن والسوق والمقابر والمعابد والمنطقة الصناعية. وقد حفل بمعثورات وفيرة شملت النقوش والكتابات والفخار المحلي والمستورد (الفرثي والنبطي والسجلاتا)

منظر عام لموقع دومة الجندل بمنطقة الجوف

والحجر الصابوني والزجاج والحلي والزينة والمشغولات الخشبية وغير ذلك.

ومما يجدر ذكره أن التنقيبات في هذا الموقع استمرت لمدة اثنين وعشرين موسماً (مدة كل موسم شهران) وكانت نتائجها ذات أهمية بالغة في مسار فهمنا لحقبة مهمّة من تاريخ بلادنا وفي ضوئها يمكننا النظر في مراجعة وإعادة كتابة التاريخ الحضاري للجزيرة العربية وأثرها المهم في محيطها الثقافي.

ومن الجهود الآثارية البارزة في البلاد مشروع برنامج المسح الآثاري الشامل الذي نفذته إدارة الآثار والمتاحف السعودية في الفترة ما بين ١٣٩٥-١٣٩٦هـ، الموافق ١٩٧٥-١٩٧٦م إلى نهاية ١٣٩٩-١٤٠٠هـ، الموافق ١٩٧٩-١٩٨٠م. وقد شمل المسح مواضع في مناطق شاسعة تصل مساحتها إلى ما يزيد على مليوني كيلومتر مربعٍ، ويغطي هذا المسح معظم المواقع الأثرية للمملكة. لذلك قسمت المملكة إلى ستة أجزاء تتوافق تقريباً والتوزيع العام للأقسام الإدارية من الناحية التاريخية والجغرافية. واستعين، بالإضافة إلى الكوادر الوطنية المؤهلة، بخبرات دولية من الباحثين وغيرهم من الاختصاصيين من عدة جامعات ومؤسسات عالمية مثل جامعات شيكاغو وكاليفورنيا وهارفارد وساوث ويسترن وإيست تكساس ولندن.

نقش بالخط المسند الشمالي

وسبق هذه الخطوة القيام بمسح وثائقي وخرائطي لكافة ما نشر حتى ذلك الوقت من معلومات حول تاريخ وآثار الجزيرة العربية. وقد تقرر بعدها ولأسباب عملية أن البحث الميداني يجب أن يبدأ من أماكن يتوافر فيها عامل المقارنة الأثرية أكثر من غيرها؛ لذلك استهل برنامج المسح نشاطاته في المنطقتين الشمالية والشرقية في آن واحد.

وعند بداية الموسم الثالث طرأ تغيير في استراتيجية المسح الشامل، بسبب التغييرات الإنمائية التي شهدتها مدن المملكة والتطور العام في كافة أنحاء البلاد. فبدلاً من اتباع خطة محددة للمسح الإقليمي، غدا من الضروري أن تركز الجهود حول عدد من المدن التاريخية التي ظهر أن ما تشهده من تطور سريع يهدد ما تحويه من ثروات تاريخية وأثرية؛ لذا ففي الوقت الذي كان يعمل فيه فريق آثار متكامل في بعض محافظات منطقة الرياض، كان فريق آخر في منطقة العلا في الشمال الغربي يعمل على تحديد حجم وأبعاد كافة الظواهر والموارد الأثرية التي تضمها واحة العلا وما حولها.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن المسح الأثري في البلاد اشتمل أيضاً على مسح للنقوش والرسوم الصخرية والكتابات منذ الخمسينيات، حيث تمكنت بعثة فيلبي Philby وريكمانز Ryckmans وليبنز Lippens من مسح عدة مناطق في وسط

آثار الأخدود بنجران

وجنوب غرب الجزيرة العربية. وكشفت هذه المسوحات عن مخلفات حضارية تشمل نقوشاً وغيرها. وكانت هذه المادة هي الأساس الذي انطلق منه أناتي (Anati 1968/1972) في دراسته للرسوم الصخرية التي حواها كتابه فن الرسوم الصخرية في أواسط الجزيرة العربية.

وتناول المسح الأثري لإدارة الآثار والمتاحف في موسمه الخامس ١٤١٠/ ١٩٩٠م دراسة الرسوم الصخرية لمنطقة جبال السراة، الممتدة من رنية حتى الطائف. وشمل كتابات ثمودية ونبطية وكوفية ومسنداً جنوبياً. وفترة هذه الرسوم والنقوش الصخرية بين العصر الحجري الحديث (النيولثك) والفترة الإسلامية.

وتواصلت الأبحاث في مجال النقوش والرسوم الصخرية إذ وثق ما يربو على ٣٠٠ موقع شملت نقوشاً تعود إلى عصور الكتابة، مثل الثمودية واللحيانية والإغريقية والنبطية وغيرها. وأبانت هذه الأعمال الميدانية أيضاً أكثر من ٨٠٠ موقع لفن الرسوم الصخرية وهي تمثل في الغالب كافة العصور ومنتشرة في مختلف مناطق البلاد.

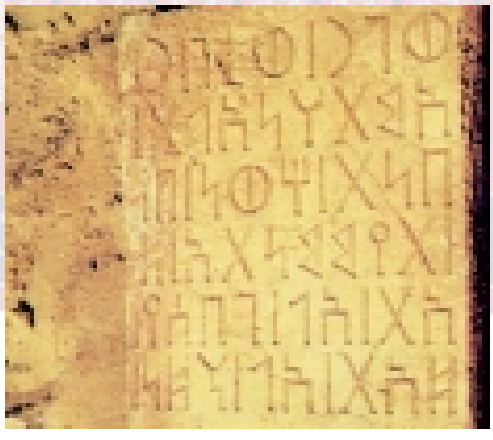

نقش بالخط المسند

العصور الإسلامية. أظهرت المسوحات والتنقيبات الآثارية كثيراً من المعالم والآثار في مناطق عديدة من المملكة. وموقع الربذة من أبرز المواقع الأثرية الإسلامية في البلاد في شمال غرب وسط المملكة، وتواصل جامعة الملك سعود أعمال التنقيب فيه منذ ثماني عشرة سنة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م- ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

موقع الربذة إلى الجنوب الشرقي من المدينة المنورة بحوالي ٢٠٠كم، على خط الطول ١٨َ ٤١ْ شرقاً ودائرة العرض ٤٠َ ٢٤ْ شمالاً على طريق الحج العراقي الرئيسي من الكوفة، المسمى درب زبيدة، إلى مكة المكرمة. وكان وقوع الربذة في قلب الجزيرة العربية وفي موقع وسط بين نجد والحجاز وتتوسط مناطق المناجم الشهيرة في الجزيرة العربية (النقرة وبني سليم) سبباً في ازدهارها، إذ استفادت بشكل رئيسي من مرور قوافل الحجاج والمسافرين على مدار السنة.

وكشفت حفريات جامعة الملك سعود عن مبان مهمة؛ فبالإضافة إلى الكشف عن المسجد الذي سمي المسجد الشرقي، تَعَرَّف المنقّبون على تفاصيل معمارية مهمة، مثل السور الذي يحيط بالوحدات السكنية والمرافق الأخرى. كما أبرزت أعمال التنقيب عدداً من البرك والآبار والمستودعات، فضلاً عن كميات كبيرة من المعثورات الحضارية التي اشتملت على نقوش وكتابات ومسكوكات وحلي وأدوات زينة وأوان فخارية وحجرية وزجاجية وعظمية وغير ذلك.

وقد قامت إدارة الآثار والمتاحف السعودية بعملية المسح الأثري لدرب زبيدة الذي يربط الكوفة بمكة المكرمة وطوله حوالي ١٤٠٠ كم. وعُمل مسح وتصوير ومخططات تفصيلية لسبعة وخمسين موقعاً أثرياً من درب زبيدة على طول ٩٤٠ كم، بدءاً من مكة المكرمة وإلى جنوب محطة العشار، شمال موقع العرائش الشمالي وإلى الحدود السعودية- العراقية، إلى موقع العثامين جنوب غرب الكوفة.

وكشفت أعمال المسح والتنقيب في هذا الطريق عن التحسينات والتجديدات التي طرأت عليه خلال العصور الإسلامية المختلفة، خاصة في العصر العباسي، إذ أقيمت المحطات والعلامات الميلية والمنارات على طول الطريق. كما كشفت الدراسات عن مبان عديدة، هي وحدات سكنية ومساجد وقلاع وحصون ومراكز تجارية وأفران وقنوات وبرك وسدود

(معظمها داخل حدود المملكة العربية السعودية) أقيمت على امتداد هذا الطريق.

وهناك طريق الحج الشامي الذي يبدأ من دمشق ويمر بعدة منازل في سوريا والأردن ثم يدخل حدود المملكة ماراً بعدة مناطق، أهمها العلا، وينتهي في المدينة المنورة. وعثر على عديد من المحطات والقنوات والبرك والمنارات والنقوش والكسر الفخارية على امتداد هذا الطريق.

وأظهرت أعمال المسح الآثاري في مكة المكرمة، التي اقتصرت على طرق الحج التي تصب بالقرب من مكة، العديد من المعالم والمعثورات الأثرية (طريق الحج العراقي، وطريق الحج الشامي-المصري، وطريق الحج اليمني)، فضلاً عن عشرات الدور والبرك والآبار والكتابات والنقوش والفخاريات في عدد من المواقع القريبة من المشاعر المقدسة، لا سيما وادي حَرَمان والخلاص وأم الرين وجبل الشعراء وغيرها.

وأمدتنا الأعمال الأثرية في محافظة الطائف بمعلومات جديدة عن العديد من السدود القديمة التي ترجع إلى العصر الإسلامي، لا سيما العهد الأموي، إذ تم التعرف على ثلاثة عشر سداً مبنية من الكتل الحجرية المقطوعة المصقولة. وتحمل العديد من هذه السدود نقوشاً إسلامية بالخط الكوفي المبكر. وأبرزت المسوحات والمجسات الاختبارية لعدد من المواقع في منطقة عسير العديد من الأبنية الحضارية، وبوجه خاص العمارة التقليدية والإسلامية من الدور والمساجد.

ويشار في هذا المقام إلى الجهود المقدرة لكثير من الباحثين السعوديين، المتمثلة في المسوحات والتنقيبات الآثارية الاختبارية للعديد من مواقع العصور القديمة والمواقع الإسلامية في أجزاء متفرقة من البلاد. وقد شكلت تلك الأعمال أجزاء أساسية في أطروحاتهم الجامعية لدرجتي الماجستير والدكتوراه. ووجدت بعض هذه الرسائل العلمية طريقها للنشر في أوعية النشر المحلية والأجنبية. وكانت نتائج هذه المسوحات والحفريات ذات أهمية كبيرة، إذ أماطت اللثام عن جوانب خفية من التاريخ الحضاري للبلاد.

وبإلقاء نظرة عامة على الجهود البحثية للكوادر العلمية السعودية في مجال الدراسات الآثارية، سواء من جامعة الملك سعود أو غيرها من

نقش إسلامي من الأحسبة الشمالية

الجامعات في المملكة أو من الآثاريين في إدارة الآثار والمتاحف، نجد من الأعمال الرائدة في حقل النقوش والكتابات القديمة لحقبة ما قبل الإسلام العمل الذي قام به عبدالرحمن الأنصاري.

وأبرز أبحاث عبدالله حسن المصري وحفرياته أطروحته للدكتوراه، التي نشرت لاحقاً بعنوان: عصر ما قبل التاريخ في شمال شرق الجزيرة العربية: إشكالية التداخل الدولي وقدمت نتائج مهمة فيما يخص حضارة العُبيد في المملكة العربية السعودية وعلاقتها الحضارية ببلاد الرافدين.

وهناك دراسة مقارنة لفخاريات ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية (٥٠٠ ق.م- ٦٠٠م) شملت أجزاء متفرقة من المملكة العربية السعودية بالإضافة إلى بعض الأقطار المجاورة (البحرين واليمن). اضطلع بها محمد قزدر في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه.

واهتم عبد الكريم الغامدي في بحثه للدكتوراه بتأثير المناخ على التنظيم الاجتماعي لحضارات عصر ما قبل الإسلام في جنوب غرب المملكة.

وأمدنا حامد أبو درك بدراسة نقدية ومقارنة لبعض المعالم الأثرية في تيماء (١٣٠٠ ق.م- ١٠٠٠ ق.م) بشمال غرب المملكة من خلال نتائج الاكتشافات الأثرية.

وقام عبدالله آدم نصيف بمسح آثاري وتاريخي لمنطقة العلا في شمال غرب المملكة وذلك بالتركيز على أنظمة الري فيها.

وأجرى عبدالعزيز الغزي دراسة مقارنة لفخاريات حقبة ما قبل الإسلام في منطقة الخرج، مع بيان التحول الاستيطاني الذي طرأ على هذه المنطقة

في هذه الفترة، استناداً إلى المجسات الاختبارية التي قام بها.

وشملت أعمال عبدالله السعود آثار العصر الهلينستي في أواسط الجزيرة العربية بالتركيز على موقع العيون في منطقة الأفلاج جنوب المنطقة الوسطى للمملكة.

وقام سليمان الذييب بدراسة تفصيلية للنقوش الآرامية والنبطية في شمال الجزيرة العربية.

واهتم سالم طيران بدراسة النقوش السبئية في الجزيرة العربية في حين أفرد سعيد السعيد بحثاً أيضاً للكتابات المعينية في المنطقة ذاتها.

وفي الآثار الإسلامية قدم سعد الراشد دراسة مفصلة ذات منحى آثاري-تاريخي وحضاري لطريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة (درب زبيدة). وشملت دراسته مسحاً للمنشآت والمحطات التي أقيمت على طول هذا الطريق بغية توفير وسائل الراحة لحجاج بيت الله الحرام.

وأجرى أحمد الزيلعي دراسة لإمارة جنوب مكة المكرمة (القرن الثالث-السابع الهجري / التاسع-الثالث عشر الميلادي) تضمنت مسحاً شاملاً لتاريخ وآثار وكتابات (نقوش) هذه المنطقة.

وأجرى علي حامد غبان مسحاً تفصيلياً ومجسات اختبارية على امتداد طريق الحج الشامي-المصري إلى المدينتين المقدستين، وأبان ما اشتمل عليه هذا الطريق من منشآت معمارية وموجودات حضارية.

وقام عبدالله الدوسري بمسح آثاري ومجسات اختبارية في عدة مواقع في المنطقة الشرقية، تعود إلى العهد الإسلامي الوسيط، وشملت دراسته تصنيفات للمعثورات الحضارية.

واهتم عبدالله العمير بدراسة المعادن الإسلامية في الأندلس إذ أجرى دراسة شاملة لهذه الموجودات مبيناً أهميتها الحضارية.

وأفرد خليل المعيقل أطروحته للدكتوراه لآثار منطقة الجوف، فأجرى مسحاً لآثار هذه المنطقة، فضلاً عن قيامه بمجسات اختبارية للعديد من المواقع في هذه المنطقة.

وكانت دراسة محمد الثنيان عن طريق الحج اليمني إلى مكة المكرمة، وعالجت ما اشتمل عليه الطريق من محطات ومنشآت معمارية مختلفة، إضافة إلى كمية وافرة من المعثورات.

وبما أن الآثار ذات أبعاد ثقافية-حضارية ولها أهداف تعليمية وتربوية

وإبداعية فقد اهتمت المملكة بهذا الجانب. ومنذ عام ١٣٨٦هـ عرضت الموجودات الأثرية لمختلف الحقب التاريخية في جناح بمبنى معهد العاصمة النموذجي. وأعقب ذلك صدور المرسوم الملكي الكريم بإنشاء الإدارة العامة للآثار والمتاحف، ثم أعلن افتتاح المتحف الوطني عام ١٣٩٦هـ، الذي نظم حسب الفترات التاريخية بدءًا بالعصور الحجرية فالإسلامية، وألحقت به فيما بعد قاعة للتراث الشعبي.

ومما يلزم التنويه به أن التنقيب في الموقعين المهمين قرية الفاو والربذة أمد الدراسات الأثرية بكميات كبيرة من المعثورات الآثارية ذات الأهمية، من نقوش وقطع معدنية وفخارية وحجرية وعملات... إلخ. وكانت هذه المعثورات مورداً للمتحف الجامعي الذي تم إنشاؤه في قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، وقد أصبح على الرغم من صغر حجمه، ذا أهمية ثقافية في خدمة الجامعة والمجتمع وزوار البلاد بعد أن شهد تطوراً ملموساً في طريقة العرض وحفظ المعروضات على أحدث الطرق المتحفية في العالم. وقد افتتح متحف وطني في الرياض في عام ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ولعل الصلة الوثيقة بين علمي الآثار والجغرافيا غير خافية؛ فالبيئة الطبيعية والمناخ وموارد المياه وما إليها، هي عوامل ذات تأثير كبير على توزيع السكان وضروب النشاط الاقتصادي الذي يمارسونه. وفيما يلي لمحة موجزة عن جغرافية المملكة تهيئ القارئ لتتبع الجهود الآثارية التي تكشف عن أنماط الحياة التي كانت سائدة في المملكة عبر الحقب الزمنية المتعاقبة.

نقش إسلامي – الصويدرة

جغرافية المملكة. المملكة العربية السعودية دولة شاسعة مترامية الأطراف، وتبلغ مساحتها ٢,٢٥٠,٠٠٠ كم^{٢} تقريباً أي حوالي ٨٠٪ من مساحة الجزيرة العربية التي هي هضبة قديمة من صخور نارية ومتحولة وطبقات رسوبية أحدث، تتكون من الحجر الرملي والجيري. وتبدو الصخور القديمة ظاهرة في نطاق

المرتفعات المشرفة على البحر الأحمر. وهذا النطاق هو أكثر أجزائها ارتفاعاً، وهو يمثل الأخدود (هورست) الذي يشغله البحر الأحمر.

وتنفتح حدود المملكة على ثماني دول، فمن الشمال الكويت والعراق والأردن، ومن الشرق قطر والبحرين والإمارات وعمان ومن الجنوب والجنوب الشرقي اليمن وعمان. وتطل على الخليج العربي من جهة الشرق وعلى البحر الأحمر من جهة الغرب.

البيئة الطبيعية: نشير هنا إلى جانبين بارزين من جوانب هذه البيئة الطبيعية، أحدهما البنية والتركيب الجيولوجي، والآخر أنواع التكوينات الصخرية.

البنية والتركيب الجيولوجي: تُقسم البنية الجيولوجية للمملكة إلى قسمين كبيرين هما إقليم الدرع العربي، أو الكتلة الصلبة القديمة وإقليم الرف العربي، أو كتلة الصخور الرسوبية.

أما إقليم الدرع العربي فيقع غرب المملكة على شكل نصف دائرة مفتوحة على ساحل البحر الأحمر. وهو صفيحة قشرية متعرية وإن كانت محلياً مغطاة بطبقات صخور بركانية من الزمن الجيولوجي الثالث. ويغطي هذا الإقليم مساحة ٧٧٠,٠٠٠ كيلاً على شكل شبه منحرف يقع في الجزء الغربي من الجزيرة العربية.

وأما إقليم الرف العربي فيقع إلى الشرق من الإقليم السابق، ويمتد حتى الخليج العربي، وذلك من حدود المملكة مع الأردن والعراق شمالاً، حتى حدود اليمن جنوباً، وسلطنة عمان في الجنوب الشرقي. وهذا الإقليم جزء من قاع بحر (تثس)، إذ كان رصيفاً قارياً أو رفاً قارياً لكتلة الدرع العربي. ويمتاز عن الإقليم الأخير باحتوائه على غطاء من الرسوبيات ذات أصل بحري ضحل. وحجر الجير الفتاتي أهم أنواع الصخور في هذا الإقليم. أما الحجر الرملي والطفْل فكثيرة. أما صخور المتبخرات فهي أقل شيوعاً.

ونظراً لتفاوت صلابة صخور هذا الإقليم، ثم تفاوت مقاومتها لعوامل التعرية فقد كوَّنت حافات مرتفعة من صخور أصلب يتجه جرفها نحو الغرب، لا سيما أن اتجاه ميل الطبقات يميل بشكل عام نحو الشرق. وأهم هذه الحافات حافة جبل طويق.

أما أنواع التكوينات الصخرية فهي أربعة تكوينات:

تكوينات الزمن الأركي (عصر ما قبل الكمبري): تنتشر في منطقة الدرع

العربي، وهي تتكون من صخور نارية متبلورة ومتحولة ومسكوبات بركانية.

تكوينات الزمن الأول: وهي أول الترسبات فوق القاعدة الأركية القديمة، وهي مساحة ضيقة على الخرائط الجيولوجية حول إقليم الدرع العربي كشريط ضيق من الجهة الشرقية.

تكوينات الزمن الثاني: يتكون هذا الزمن من ثلاثة عصور، هي: الترياسي (حجر رملي مع صلصال)، والجوراسي (حجر رملي ورخام ودولوميت)، والكريتاسي (حجر كلسي ورملي وطفْل). وتنتشر صخور هذا الزمن في مساحة كبيرة مقارنة مع التي تنتشر فيها صخور الزمن الأول. وهي تظهر على شكل شريط قوسي عريض يلي منطقة صخور الزمن الأول من جهة الشرق، وترتكز عليها منطقة الحدود السعودية-الأردنية حتى الربع الخالي.

تكوينات الزمن الثالث: وتنتشر في شمال وشرق المملكة فيما وراء رمال صحراء الدهناء والنفود الكبير، كما توجد في غربها على شكل تكوينات محلية قارية أو بحيرية. ومن اللافت للانتباه أن تكوينات الزمن الثالث ذات ثلاثة أنواع، هي: الأيوسين (حجر كلسي قشدي بني أو رمادي)، والمايوسين (مزيج من الصلصال والحجر الكلسي والرملي والمرل)، والبلايوسين (المرل الرملي والكلس الرملي).

التضاريس: وهي ذات أهمية قصوى لأنها تؤثر بصورة مباشرة وغير مباشرة على وجود الإنسان، وعلى نشاطه وتطوره، بالإضافة لتأثيرها على العوامل الجغرافية الأخرى، كالمناخ والموارد المائية والتربة والثروات الطبيعية. وتنقسم الأقاليم التضاريسية في البلاد إلى سبعة هي: السهول الساحلية على البحر الأحمر والخليج العربي، وجبال الحجاز، والهضاب الغربية، وهضبة نجد، والهضاب الشمالية والشرقية، وبحار الرمال الكبرى.

السهول الساحلية: للمملكة سهلان ساحليان أولهما سهل تهامة على ساحل البحر الأحمر. وثانيهما السهل الساحلي على ساحل الخليج العربي. وهما صحراويان قاحلان قليلا التعاريج والفجوات.

جبال الحجاز: ويطلق على جزئها الجنوبي جبال السروات، وهي كتلة مستطيلة الشكل ممتدة بمحاذاة البحر الأحمر والسهل الساحلي بطول ١,٧٠٠ كيلٍ تقريباً من الحدود مع الأردن شمالاً إلى اليمن جنوباً.

الهضاب الغربية: وتقع إلى الشرق من المرتفعات الغربية، وتمتد من الحدود السعودية-الأردنية شمالاً إلى نجران جنوباً، ويتراوح ارتفاعها من ٧٠٠-١٦٠٠م تقريباً. وهي تشمل العديد من الهضاب مثل: هضبة حسمى شمال البلاد، وهضبة الحجاز التي تقع إلى الجنوب الشرقي من الهضبة السابقة، وعالية نجد، وهضبة عسير وتقع شرق مرتفعات عسير، وهضبة نجران وتقع نهايتها عند الحدود مع اليمن في الجنوب.

هضبة نجد السفلى: وهي تمتد من إقليم الهضاب الغربية غرباً حتى صحراء الدهناء شرقاً. ومن النفود شمالاً حتى الربع الخالي جنوباً.

هضبة الصمان: تمتد هذه الهضبة من الدهناء غرباً، حتى السهل الساحلي للخليج العربي شرقاً. ومن وادي الباطن شمالاً، حتى أطراف الربع الخالي جنوباً، وهي تتشكل من عدة أشكال تضاريسية.

الهضاب الشمالية: وهي جزء من هضبة بادية الشام، وتضم الأجزاء

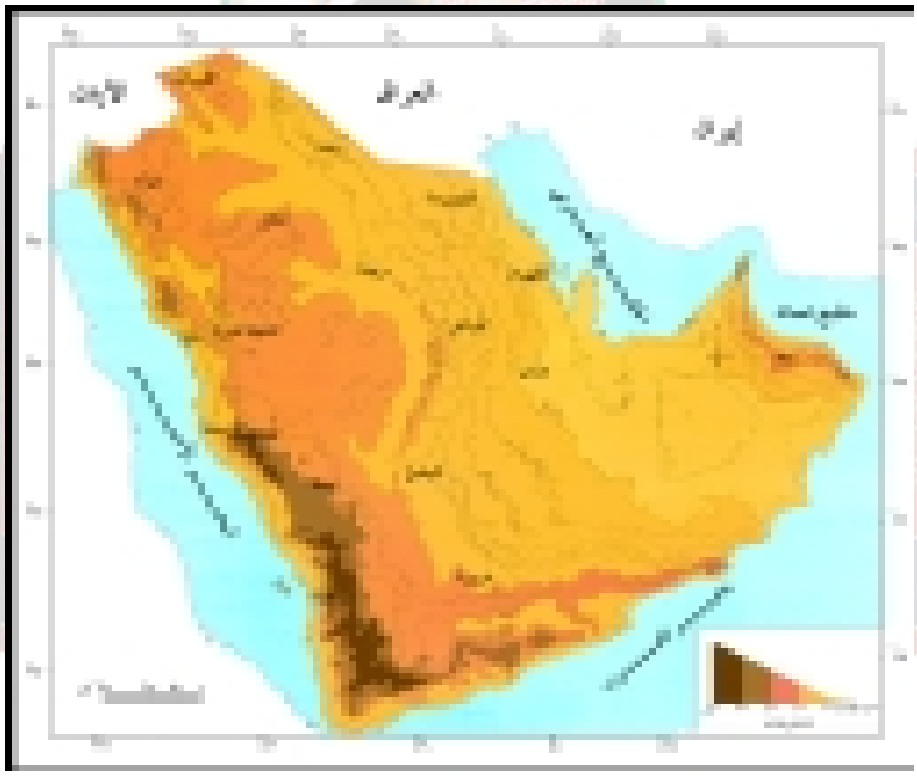

مظاهر السطح في المملكة العربية السعودية

الشمالية من المملكة. وهي تمتد فيما بين النفود الكبير في الجنوب، والحدود العراقية والأردنية والكويتية من الجهات الثلاث الأخرى.

بحار الرمال الكبرى: تشمل الربع الخالي وهو أكبر بحر رملي متصل في العالم وتبلغ مساحته ٦٤٠,٠٠٠كم٢. وصحراء النفود الكبرى في الشمال، وتبلغ مساحتها ٥٦,٣٢٠كم٢، وهي محصورة بين حواف الهضاب في الغرب والشمال وبين جبل شمر في الجنوب. وهنالك صحراء الدهناء وهي أطولها امتداداً من الشمال إلى الجنوب، وتمتد على شكل قوس يصل ما بين رمال النفود الكبير والربع الخالي.

المناخ: تقع المملكة في غرب آسيا وشرق أفريقيا، وهي ليست بعيدة جداً عن أوروبا، لذلك فإن مناخها يتأثر بالظواهر التي تأتيه من تلك القارات.

وترتفع درجات الحرارة صيفاً إذ تصل النهاية العظمى لدرجة الحرارة ٤٨ْم في الداخل. ويتميز الشتاء بدفئه نهاراً، وتنخفض في الليل درجة الحرارة كثيراً وهي أخفض في الجهات الداخلية منها في الأجزاء الساحلية، وذلك لتأثير البحر عليها. وتزداد درجة الحرارة بوجه عام من الشمال إلى الجنوب.

موارد المياه: تعتمد المملكة بشكل أساسي على المياه الجوفية ومياه الأمطار، فالبلاد خالية من الأنهار والبحيرات العذبة. وهذه الأمطار على قلتها لا يستفاد من مائها كله، بل إن قسماً كبيراً منها يضيع بسبب التبخر الشديد الذي يعقب سقوط الأمطار مباشرة. لذلك تقتصر الموارد المائية في المملكة على نوعين:

المياه السطحية: وتنشأ من انحدار المياه إلى الأودية والشعاب عقب سقوط الأمطار مباشرة. وهي عرضة للضياع بسبب التبخر الذي يصل أحياناً إلى ٧٠ ٪ من كمية المياه. وتختلف الوديان في أحجامها، وبعضها يشابه الأنهار في جيومورفولوجيته. وأهم هذه الأودية وادي الرمة الذي يبدأ من مشارف المدينة المنورة باتجاه السفوح الشرقية لجبال المدينة ماراً بمنطقة القصيم، ووادي حنيفة الذي ينحدر من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ما بين حافة جبل طويق الوسطى وهضبة العرمة وجبال الجبيل في الشرق التي تقع على مقربة منه مدينة الرياض. وهناك أودية أخرى مثل وادي الدواسر الذي يتجه نحو الشمال الشرقي، بعد عبوره جبال طويق نحو السليل. ووادي السرحان الذي يقع في أقصى شمال المملكة في منخفض

حوض يوازي الحدود السعودية-الأردنية، أما وديان البحر الأحمر فهي ذات تصريف داخلي، وينحدر نحو ٢٤ وادياً منها باتجاه تهامة غرباً، وتنتهي كلها في البحر الأحمر. ومن أهمها وادي جازان ووادي ضمد في الجنوب، ووادي صبيا ووادي بيشه إلى الشمال قليلاً.

المياه الجوفية: التعرف على معلومات وافرة عن المياه الجوفية كان منذ عام ١٩٣٦م. أما قبل ذلك فلم نكن نعرف شيئاً ذا بال عنها إلا ما يتعلق ببعض العيون التي تظهر تلقائياً، وبعض الآبار المحفورة بصورة تقليدية. وزاد الاهتمام بالمياه الجوفية في أواسط الستينيات والسنوات اللاحقة حتى يومنا هذا. وجدير بالذكر أن التكوينات الحاملة للمياه في المملكة تنقسم إلى قسمين هما التكوينات السطحية (المياه الجوفية السطحية) والتكوينات العميقة (المياه العميقة).

فالتكوينات السطحية تحتجز التكوينات المتسربة في التكوينات المسامية القريبة من السطح، بعيدة عن التبخر والتسرب حتى يحصل الإنسان على الماء بحفر الآبار أو يظهر على السطح في المناطق المنخفضة على شكل عيون. وتختلف كمية الماء من مكان لآخر تبعاً لاختلاف كمية هطول الأمطار. أما التكوينات العميقة فهي تنحصر في الطبقات الرسوبية وتتميز بظاهرتين إحداهما أنها تنحدر من الغرب إلى الشرق، والأخرى أنها تحتوي على أحواض عميقة تقوم بمهمة المصائد.

السكان: السلالة الرئيسية التي ينتمي إليها سكان الجزيرة العربية، بما في ذلك المملكة العربية السعودية، هي سلالة البحر المتوسط وهي أحد الفروع الرئيسية للمجموعة القوقازية. وتتميز هذه السلالة باستطالة الرأس أو توسطه، وضيق الأنف، وسمرة البشرة، والشعر ذي التموج البسيط في شكله، والقامة المتوسطة أو دون المتوسطة بقليل. وينتمي إلى سلالة البحر المتوسط مجموعتان هما المجموعة الآسيوية العربية والمجموعة الأفريقية العربية. وهذه السلالة لم تبق نقية عرقياً سواء في الجزيرة العربية أو في غيرها من الأقطار العربية، بل اختلطت فيها الدماء خلال فترات التاريخ المتلاحقة.

وعملت الهجرات، سواء كانت عربية أم أجنبية، على خلط السلالة الأساسية لسكان الجزيرة العربية بالعناصر الجديدة الوافدة. وكانت هذه الهجرات تحدث على موجات بسبب سوء الأحوال الاقتصادية وقلة الموارد الإنتاجية لحاجة

السكان في مناطقهم الأصلية. وتعد الموجات البشرية التي صحبت الفتوحات الإسلامية، ودامت لما يزيد عن قرن، أهم موجات الهجرة التي لم تكن ذات تأثيرات سلالية فحسب بل كانت ذات أبعاد ثقافية ولغوية واجتماعية ودينية.

ويعد إقليما السروات ونجد أقل أقاليم المملكة اختلاطاً بسبب بقائهما في شبه عزلة عن المناطق المجاورة. لذا فقد بقيا يمثلان أكثر سلالة البحر المتوسط نقاء، وهي التي تتصف باستطالة الرأس وسمرة البشرة، وتوسط القامة وانتصابها، وضمور الجسم ودقة الأنف واستطالته، وسواد العيون وتموج الشعر.

وازدادت أهمية الحصول على البيانات الإحصائية لسكان المملكة لاسميا بعد أن أنشأت الدولة المجلس الأعلى للتخطيط عام ١٩٥٨م، الذي تحول عام ١٩٦٤م إلى الهيئة المركزية للتخطيط. وازداد سكان المملكة خلال العقود الثلاثة الفائتة زيادة واضحة، وذلك لسببين هما زيادة التناسل وزيادة الهجرة.

زيادة التناسل: وهي الزيادة الناجمة عن الفرق بين عدد الولادات والوفيات، وتحسب نسبتها عادة إلى الألف من السكان كل عام. وبلغت نسبة الزيادة الطبيعية في عدد السكان خلال السنوات الماضية ما بين ٢٠٪-٢٥٪ وهي في سبيلها إلى الزيادة تدريجياً في المستقبل. ويبلغ عدد سكان المملكة حسب التقديرات الحديثة ١٦,٩٠٠,٠٠٠ نسمة (إحصاء ١٩٩٢م). وتعزى الزيادة الملاحظة في عدد السكان إلى التطورات الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة التي شهدتها المملكة وتوافر الرعاية والخدمات الصحية العالية المستوى في كافة أرجاء البلاد.

زيادة الهجرة: وهي الزيادة الناجمة عن هجرة سكانية إلى داخل المملكة من خارج حدودها، أكثر بكثير من الهجرة من داخلها إلى خارجها. وتشير الإحصائيات الحديثة إلى وجود ٤٦٠٠,٠٠٠ نسمة من مختلف الجنسيات تعمل في كافة الأنشطة في البلاد. وقد بدأت هذه الهجرة منذ ظهور البترول في المملكة في الثلث الأول من القرن الحالي، وما تزال مستمرة حتى الآن. ولم تكن سرعة هذه الهجرة على وتيرة واحدة خلال هذه الفترة بل ازدادت كثيراً خلال حقبة السبعينيات والثمانينيات. ثم فترت نسبياً خلال السنوات القليلة الماضية بسبب الزيادة المطّردة في الكوادر الوطنية المؤهلة التي احتلت مواقعها في جميع الأنشطة التعليمية والاقتصادية والاجتماعية.

وينقسم سكان المملكة حسب نمط حياتهم إلى قسمين رئيسيين هما:

١) الرحل: وهم المتنقلون من مكان لآخر.

٢) المستقرون: وهؤلاء أيضاً يتفرعون فرعين هما سكان الواحات أو الريف الزراعي، وسكان المدن.

وقد أنشأت الدولة العديد من المشاريع لتوطين البادية وذلك باستصلاح مئات الآلاف من الهكتارات من الأراضي الصالحة للزراعة. من ذلك على سبيل المثال أراضي واحة يبرين في الربع الخالي لتوطين قبيلة بني مرة، واستصلاح مساحات مماثلة في وادي السرحان في شمال البلاد لتوطين بدو المنطقة الشمالية، ومشروع إنعاش القنفذة في المنطقة الغربية. أما عمليات التوطين التلقائية فقد بدأت مبكراً وذلك قبل استثمار البترول. فانتشرت الحياة المستقرة المعتمدة على الزراعة بدلاً من الرعي. وساعد على ذلك توافر المياه كما هو الحال في مناطق عديدة من المملكة، لاسيما المنطقة الشرقية.

وتدل الإحصائيات السكانية الأخيرة أن نسبة الذكور تفوق نسبة الإناث إجمالاً. وأهم المناطق التي توجد بها نسب عالية للذكور مقارنة بالإناث هي تبوك والقريات، على الرغم من صغرهما وبعدهما عن المراكز العمرانية الكبيرة. ويعزى ذلك إلى ما يوجد فيها من المخافر والمعسكرات التي تقتضي تجمع العزاب فيها. أما الرياض والمنطقة الشرقية ومنطقة مكة المكرمة فهي مناطق التنمية الرئيسية، وتستضيف عشرات الألوف من العاملين على الدوام، كما يلاحظ وجود هجرة داخلية من الريف والبادية إلى المدن كما هو حادث في جميع البلاد العربية. وقد أسهمت هذه الظاهرة في حدوث بعض الأزمات مثل الإسكان وارتفاع أجوره، وازدياد كثافة المرور في بعض المدن، علاوة على هجر بعض الأراضي الزراعية كما هو الحال في عسير وسهول جازان. وتجدر الإشارة إلى أن المناطق التي فيها نسبة الذكور مقاربة لمعدل الإناث هي إمارة الحدود الشمالية، ونجران، والجوف، والمدينة المنورة، والقصيم. وهناك مناطق تقل فيها نسبة الذكور بشكل لافت للانتباه، وهي جازان، وحائل، وعسير، والباحة؛ إذ يهاجر قسم كبير من شبابها للعمل في مناطق أخرى من البلاد فيها أسواق للعمل.

وتدل البيانات الإحصائية أن معدل سكان المملكة من صغار السن والشباب ممن هم دون العشرين يبلغ نسبة ٥٨٪

من السكان، وغالبيتهم من غير المنتجين وممن هم تحت رعاية آبائهم.

والأسرة السعودية أسرة كبيرة الحجم بالقياس العالمي، فقد كان النمط السائد في المجتمع نمط الأسرة النووية أو الممتدة التي يكون فيها الأب وأبناؤه المتزوجون وأسرهم تحت سقف واحد، ويكون للابن الأكبر مكانة في رئاسة الأسرة. ويساعد على كبر حجم الأسرة الزواج المبكر وتعدد الزوجات وكثرة النسل. وقد تغير ذلك النمط وبخاصة في المدن؛ إذ صار الاتجاه إلى استقلال الأبناء المتزوجين.

النشاط الاقتصادي: على الرغم من غلبة الصحراء على أرض المملكة العربية السعودية؛ فقد اشتغل أهلها بالزراعة وإنتاج الحيوانات في واحاتها المتناثرة ومراعيها، حتى اكتشف النفط فنقلها نقلة نوعية أثرت في نشاطات سكانها تأثيراً كبيراً، ونجمل الكلام على ذلك في ما يأتي:

الزراعة: تعد من أهم القطاعات التي تستند عليها التنمية الاقتصادية في المملكة، إذ إن أكثر من ٤٠٪ من القوى العاملة في البلاد تعمل في الزراعة أو أعمال تتعلق بها. وتنتشر الأراضي الزراعية في الواحات وجوانب الأودية وسهولها، وعلى المدرجات الجبلية في جبال الحجاز (تهامة وعسير)، بسبب توافر المياه والتربة الجيدة. ويلاحظ أن هناك ست مناطق زراعية مهمة في البلاد تشمل:

١) حوض النفود الرسوبي الكبير في شمال المملكة ووسطها، ويضم القصيم وحائل والنفود الكبير وتبوك والعلا والمناطق الشمالية.

٢) الحوض الرسوبي الجنوبي بين نجران وتثليث من جهة، والربع الخالي من جهة أخرى.

٣) هضبة الأودية الستة في جنوب غرب المملكة (الحجاز وعسير).

٤) المنطقة الشرقية، وتمتد من الدهناء حتى ساحل الخليج العربي.

٥) الجزء الرسوبي من هضبة نجد (سدير والمحمل والشعيب ووادي حنيفة).

٦) حوض البحر الأحمر، ويشمل: جبال مدين، تهامة الحجاز، وتهامة عسير، والجبال الساحلية الجنوبية.

وتشمل المنتجات الزراعية لهذه المناطق الحبوب بأنواعها (القمح والشعير والذرة والدخن) والخضراوات والفواكه والبرسيم.

الإنتاج الحيواني: في المملكة مساحات شاسعة من المراعي تربو على ١٠٠٠٠٠٠كم٢. ولكن هذه المساحات الواسعة لا تتناسب مع الكم القليل من

الحيوانات التي تعيش فيها. وسبب ذلك قلة الغطاء النباتي الطبيعي، ونقصان كميات المياه، وتآكل التربة وازدياد ملوحتها، وزحف الرمال وتغطيتها لبعض المناطق الصحراوية، فضلاً عن دور الإنسان واستخدامه للأدوات الحديثة في قطع الأشجار والشجيرات. وتجدر الإشارة إلى أن هناك خمس مناطق رعوية حسب غناها بالأعشاب تشمل كلاً من إقليم عسير والحجاز الجنوبي، والهضاب الداخلية، والإقليم الشمالي وشمال غرب المملكة، وإقليم الخليج العربي.

وعلى الرغم من عدم توافر إحصائيات دقيقة وحديثة عن أعداد مختلف الحيوانات، إلا أن بعض هذه الإحصائيات دلت على وجود ثروة حيوانية كبيرة في المملكة قوامها ما ينيف عن ١٠ ملايين رأس من الأغنام والأبقار والجمال. وتتركز معظم هذه الثروة جنوب غرب المملكة عن غيرها في الأقاليم الشمالية والشرقية.

النفط: أصبحت المملكة في بداية الثلاثينيات من هذا القرن، إحدى أبرز الدول النامية تقدماً في المجالين الاقتصادي والاجتماعي بعد اكتشاف البترول واستغلال عائداته في خطط التنمية الطموحة. وقد أثرت عائدات البترول في مستوى حياة المواطن ودخله بصورة مباشرة وغير مباشرة. وارتقت البلاد حتى باتت الآن من ضمن الدول ذات الدخل المرتفع في العالم. فهي المصدر الأول للنفط في العالم. ويُسهم البترول حالياً بنحو ٦٣٪ من إجمالي الدخل الوطني. وترتفع هذه المساهمة إلى٦٥ ٪ إذا حسبنا الصناعات المرتكزة على البترول، كالمصافي ومعامل التكرير والأسمدة وغيرها. وهذا يعني أن جميع مجالات الإنتاج والخدمات الأخرى تسهم بنسبة ٣٥٪ من جملة الناتج المحلي في المملكة.

التعدين: أثبتت أعمال المسح الجيولوجية أن المملكة غنية بالعديد من المعادن، مثل الذهب والرصاص والحديد والكروم والفورايت والبارايت وأكسيد الباريوم والمغنسيت وكربون المغانسيوم والفوسفات والجبس والإسمنت والملح الصخري والصلصال والرمل الزجاجي والكبريت والرخام والأسبستوس والزيت والغاز الطبيعي. وتستغل هذه المعادن بصورة جيدة، كما أصبح بعضها مرتكزاً للعديد من الصناعات.

الصناعة: بدأت الصناعات القديمة في المملكة منذ أمد طويل في المدن والواحات القديمة. وكان الإنتاج قليلاً وهو لسد حاجة الاستهلاك المحلي من

السلع المصنَّعة، مثل صناعات المنسوجات الصوفية والمناثر وبيوت الشعر والأواني الفخارية والمعدنية والأحجار والجص وطواحين الغلال وصناعة السلال والمراوح والأقفاص من جريد وسعف النخيل والصناعات الخشبية والجلدية وصناعات الحلي والأدوات النحاسية وبعض الصناعات الحديدية وصناعة الأدوات الزراعية.

وقد تطورت الصناعات في المملكة بدرجة كبيرة من صناعات استهلاكية بسيطة، إلى صناعات تستخدم أحدث الآلات التي انتجتها التقنية الحديثة. كما أدخل الحاسوب في كثير من هذه الصناعات. وارتفع عدد الشركات والمؤسسات الصناعية في كافة أنحاء المملكة، وشملت أكثر من ٢٥ مدينة. ومن أهم هذه الصناعات: الألبان والغلال والحلويات والثلج والمشروبات الغازية والأحذية والأثاث والطباعة والتجليد والإسمنت والبلاط والبلك والرخام والأدوات الحديدية والنحاسية وتركيب الأدوات الصحية والحدادة والسمكرة والخراطة والمسابك والآلات الكهربائية وغير الكهربائية وشحن البطاريات وإصلاح السيارات وصياغة الذهب والفضة. ويمكن إضافة ما يربو على مائة مؤسسة للكهرباء والماء والغاز إلى العدد السابق.

وثمة إشارة هنا وهي أن معظم هذه الصناعات تتركز بصورة رئيسية في مدن قليلة في ثلاث مناطق في المملكة هي:

١) المنطقة الغربية (جدة وينبع ومكة المكرمة والمدينة المنورة).

٢) المنطقة الوسطى (الرياض).

٣) المنطقة الشرقية (الدمام والخبر والجبيل ورأس تنورة والهفوف).

وتعد صناعة الزيت عصب الاقتصاد السعودي. ومنذ ظهوره في أواخر الثلاثينيات أخذت المملكة تخطو خطوات كبيرة على كافة الأصعدة الاقتصادية. ولا غرابة في ذلك فالمملكة وحدها تسهم بما نسبته ٢٢٪ من الاحتياطي العالمي الثابت للنفط. وهذه النسبة آخذة في الارتفاع بسبب الاكتشافات الجديدة لحقول البترول في عدة أماكن من البلاد.

ومعظم حقول البترول في المنطقة الشرقية، وأهمها: الغوار وبقيق والسفانية والخفجي. وهناك حقول أخرى في منطقة الرياض مثل خريص والقرضي وأبو جفان وحوطة بني تميم. وفي منطقة الربع الخالي حقول قصان والشيبة.

وتتولى إنتاج البترول الشركة العربية السعودية للبترول (أرامكو) حيث تقوم

بتصديره لمختلف دول العالم، خاصة أوروبا وأمريكا ودول الشرق الأقصى.

التجارة: عرف سكان المملكة التجارة منذ آجال موغلة في القدم. وكانت التجارة في الماضي ملاذاً لاستغلال ميزة موقع البلاد الجغرافي بين أقاليم مختلفة في طبيعتها وإنتاجها. ولكن منذ اكتشاف البترول في الثلاثينيات بدأت المملكة، وما زالت، تطور اقتصادياتها وحجم تجارتها حتى باتت من أكثر دول العالم نمواً ومتانة في الاقتصاد. وأدى تزايد الصادر من البترول والصناعات البتروكيمائية وغيرها من المنتجات إلى أن يكون الميزان التجاري إيجابياً باستمرار، أي في صالح المملكة. ومن جهة أخرى تستورد المملكة حاجاتها الأساسية من كثير من دول العالم، لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، إذ يأتي منهما ما نسبته ٥٥٪ من جملة الواردات، ودول أوروبا ٤٠٪ من جملة الواردات. ويلاحظ أن إسهامات دول أفريقيا، وأمريكا اللاتينية عدا البرازيل، ودول إقيانوسيا ما عدا استراليا، ضئيلة للغاية إذ لا تتجاوز ٢٪ من واردات المملكة.